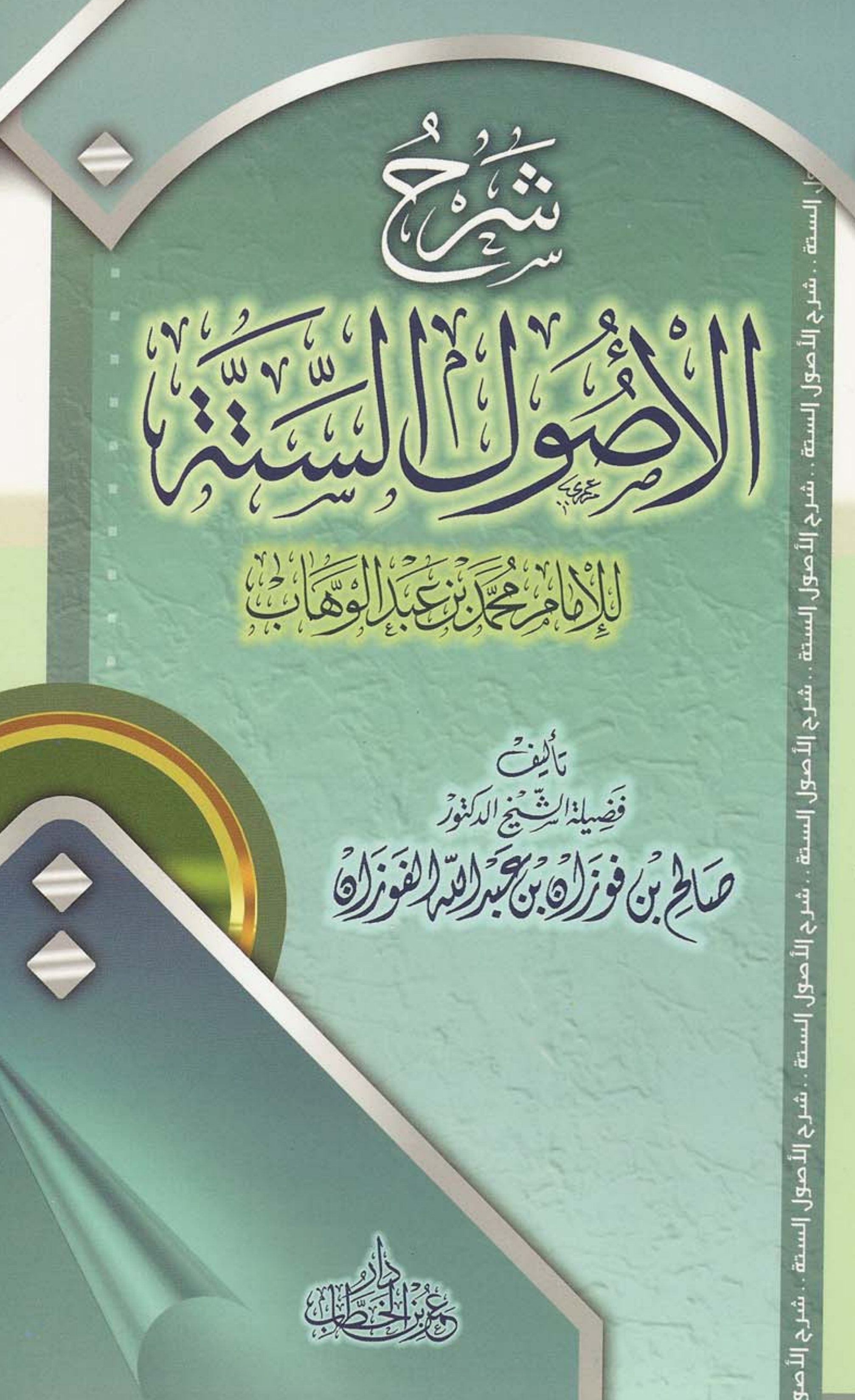
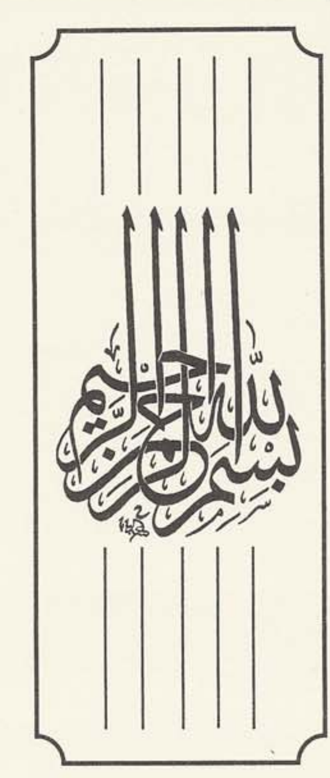


شرح الأصول الستة



الطبعة الأولى

١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م

١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م
رقم الإيداع: ١٠٩٨٠/٢٠٠٨م

دار عمر بن الخطاب
للنشر والتوزيع
جمهورية مصر العربية – القاهرة

الوكيل في اليمن



للنشر والتوزيع

اليمن – صنعاء – شارع تعز – شميلة – جوار جامع الخير

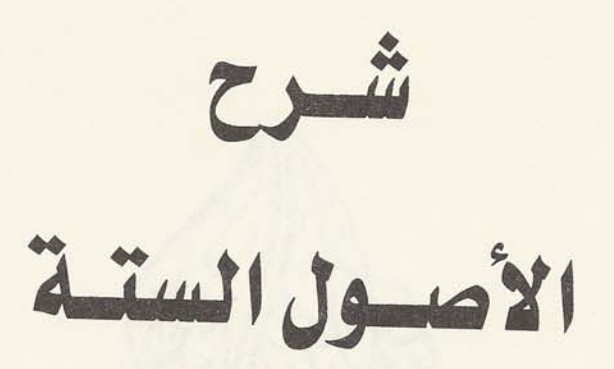
ص ب: ١٧٣٦٤ فاكس: ٦٣٣٧٧١ – ١ – (٠٠٩٦٧)

جوال: ٧٣٤٧٥٥١٣٩ – ٧٧٧٧٦٣٧٤٣ (٠٠٩٦٧)

E_MAIL: ALWADEY2006@MAKTOOB.COM

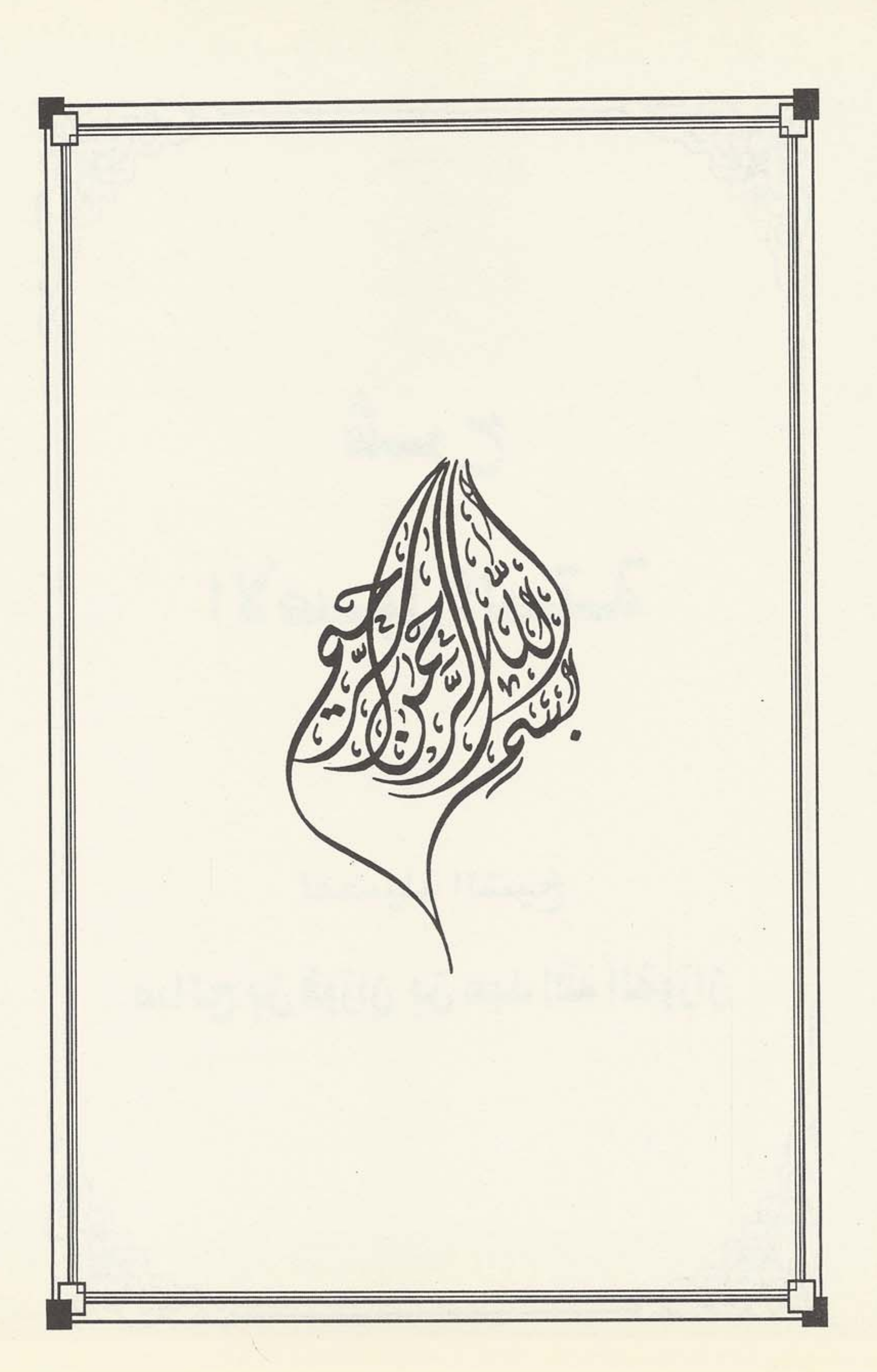
شرح

الأصول الستة



لفضيلة الشيخ

صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان


بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مِنْ أَعْجَبِ الْعُجَابِ، وَأَكْبَرِ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ قُدْرَةِ الْمَلِكِ الغَلَّابِ سِتَّةُ أُصُولٍ بَيَّنَهَا اللهُ تَعَالَىٰ بَيَانًا وَاضِحًا لِلْعَوَامِّ فَوْقَ مَا يَظُنُّ الظَّانُّونَ، ثُمَّ بَعْدَ هَذَا غَلِطَ فِيهَا كَثِيرٌ مِنْ أَذْكِيَاءِ الْعَالَمِ وَعُقَلَاءِ بَنِي آدَمَ إِلَّا أَقَلَّ الْقَلِيلِ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحْمد لله رب العالَمين، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محُمّد وعلىٰ آله وصحبه أجْمَعين.

لا شك أن الله سبحانه أنزل القرآن تبيانًا لكل شيءٍ، وأن الرسول ﷺ بيَّن هذا القرآن بيانًا شافيًا، وأعظمُ ما بينه الله ورسوله في هذا القرآن قضية التوحيد والشرك؛ لأن التوحيد هو أصل الإسلام وأصل الدين، وهو الذي تبنىٰ عليه جميع الأعمال، والشركُ يبطل هذا الأصل ويفسده، ولا يكون له وجود؛ لأنهما أمران متضادان ومتناقضان لا يجتمعان أبدًا، فلذلك الله سبحانه بين هذا الأصل في كتابه في جميع القرآن، فلا تكاد

تخلو سورةٌ من ذكر التوحيد وذكر الشرك، والناس يقرؤون هذا القرآن ويرددونه.

ولكن قلَّ من يتنبه لهذا البيان، ولذلك تَجد كثيرًا من الناس يقرءون القرآن ويقعون في الشرك ويُخِلُّون بالتوحيد، مع أن هذا الأمر واضحٌ في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ؛ لأنهم يَمشون علىٰ العوائد وما وجدوا عليه آباءهم ومشايخهم، فالأصل عندهم ما وجدوا عليه آباءهم ومشايخهم وأهل بلدهم، ولا يفكرون في يوم من الأيام أن يتأملوا ويتدبروا القرآن، ويعرضوا عليه ما كان عليه الناس، هل هو صحيح أو غير صحيح؟

بل أخذهم التقليد الأعمىٰ لآبائهم وأجدادهم، واعتبروا أن القرآن إنما يقرأ للبركة وحصول الأجر بالتلاوة، وليس المقصود أنه يُقرأ للتدبر والعمل بما فيه.

قلَّ من الناس من يقرأ القرآن لهذا الغرض، وإنما يقرءون للتبرك به أو التلذذ بصوت القارئ، والترنم به، أو لقراءته علىٰ المرضىٰ للعلاج.

أما أن يقرأ للعمل به والتدبر والصدور عما فيه، وعرض ما عليه الناس علىٰ هذا القرآن، فهذا لا يوجد إلا في قليلٍ من الناس، لا نقول: إنه معدوم، لكنه في أقل القليل، ولذلك تجد القرآن في وادٍ وأعمال بعض

الناس في وادٍ آخر، لا يفكرون في التغيير أبدًا، ولو حاول مجددٌ أو داعٍ إلىٰ الله أن يغير ما هم عليه، لقاموا في وجهه واتهموه بالضلال، واتهموه بالخروج علىٰ الدين وأنه أتىٰ بدينٍ جديدٍ وأنه وأنه...

كما حصل لهذا الشيخ نفسه لَـمَّا حاول رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يرد الناس إلىٰ القرآن وما دل عليه القرآن، ويغيِّر ما هم عليه من العادات والتقاليد الباطلة، ثاروا في وجهه وبدَّعوه وفسقوه، بل وكفَّروه واتَّهموه باتهاماتٍ، لكن في الحقيقة هذا لا يضر وليس بغريبٍ، فإن الأنبياء قيل فيهم ما هو أشد من ذلك، لَـمَّا أرادوا أن يغيروا ما عليه الأمم من عبادة غير الله قيل فِي حق الأنبياء ما قيل، فكيف بالدعاة والعلماء؟! فلا غرابة فِي هذا، وهذا لا ينقص من أجر العالمِ والداعية، بل هذا يزيد في حسناته عند الله سبحانه وتعالىٰ.

وإنما يرجع بالنقص علىٰ من قاله ومن تفوَّه به وكتبه، فإن هذا يرجع عليه، أما العلماء المُخلصون والدعاة إِلَىٰ الله، فلا يضرهم ما قيل فيهم بل يزيد في درجاتهم وحسناتهم، ولَهم قدوةٌ بالأنبياء وما قيل فِي حقهم وما اتُّهموا به، والله تعالىٰ يقول لنبيه: ﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [فصلت: ٤٣].

فالشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه الكلمات يبين شيئًا من هذا الأمر العجيب: أن الناس يقرءون القرآن، ويكثرون من قراءته ويختمونه ويحفظونه

ويرتِّلونه، ويركزون اهتمامهم بألفاظ القرآن وتجويده وأحكام المد، وأحكام الإدغام، والغنة، والإقلاب، والإظهار، والإخفاء، ويعتنون بهذا عنايةً فائقةً، وهذا شيءٌ طيبٌ.

ولكن الأهم والمقصود ليس هذا، المقصود تدبر المَعاني، والتفقه في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وعرض أعمالنا وأعمال الناس علىٰ كتاب الله: هل هي موافقةٌ لكتاب الله أو مُخالفةٌ؟

هذا هو المطلوب: أن نصحح أوضاعنا، وأن ننبه علىٰ أخطاء الناس، لا بقصد التشهير وقصد النيل من الناس، بل بقصد الإصلاح والنصيحة.

* * *

الأَصْلُ الأَوَّلُ

إِخْلَاصُ الدِّينِ للهِ تَعَالَىٰ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

الشرح: الأصل الأول من هذه الأصول الستة: (إخلاص الدين لله وحده لا شريك له) هذا أصل الأصول وقاعدة الدين، وهذا هو المعترك بين الأنبياء وبين الأمم، فالأنبياء يريدون أن يصححوا هذا الأصل الذي خلق الله الخَلْق من أجله وربط سعادتهم به.

فليس المُهم أن الإنسان يصوم ويصلي ويكثر من العبادات، المهم الإخلاص، فقليلٌ مع الإخلاص خيرٌ من كثيرٍ مع عدم الإخلاص، فلو أن الإنسان يصلي الليل والنهار، ويتصدق بالأموال، ويعمل الأعمال لكن بدون إخلاص فلا فائدة فِي عمله؛ لأنه لابد من الإخلاص.

والإخلاص معناه: ترك الشرك وإفراد الله - جل وعلا - بالعبادة، ولا أحد يستحق العبادة مهما بلغ من الكمال ومن الفضل إلَّا الله، لا الملائكة المقربون ولا الأنبياء والرسل، ولا الأولياء والصالحون، هذا هو الأصل، ولا يتحقق هذا الأصل إلا بترك الشرك، أما من يَخلط بين العبادة لله وبين الشرك بغيره، فهذا عمله حابطٌ.

وأما الذي يُخلص عمله لله عَزَّوَجَلَّ فهذا هو السعيد، ولو كان عمله

قليلًا، فقليلٌ من العمل مع الإخلاص فيه الخير، وفيه النجاة؛ وحديث البطاقة لا يَخفىٰ: «رجل يبعث يوم القيامة تعرض عليه أعماله مكتوبة في سجلاتٍ، كل سجلٍّ منها مدَّ البصر، مَملوءة بالسيئات، توضع هذه السجلات فِي كفَّةٍ، وتوضع هذه البطاقة الَّتي فيها «لا إله إلا الله» قالها هذا الرجل من قلبه بإخلاص ويقينٍ وإيْمان؛ فرجحت هذه الكلمة بجميع السجلات، وطاشت بِجميع السجلات».

هذا هو الإخلاص فهو ما قالها مجرد لفظٍ، وإنَّما قالها عارفًا بمعناها، معتقدًا بما دلت عليه، لكنه مات قبل أن يتمكن من العمل، فكيف بالذي عنده أعمالٌ كثيرةٌ صالحةٌ وخالصةٌ لوجه الله عَزَّوَجَلَّ؟!

هذا فيه دلالة علىٰ أن الإخلاص وإن كان قليلًا فقد ينجي الله به صاحبه، ويكفِّر عنه جميع الذنوب والسيئات، وأنه إذا فقد الإخلاص فلا فائدة من كثرة الأعمال.

* * *

وَبَيَانُ ضِدِّهِ الَّذِي هُوَ الشِّرْكُ بِاللهِ.

ضد التوحيد: الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ، فالتوحيد: هو إفراد الله بالعبادة، والشرك: هو صرف شيءٍ من أنواع العبادة لغير الله عَزَّوَجَلَّ، كالذبح والنذر والدعاء والاستغاثة.... إلىٰ آخر أنواع العبادات، هذا هو الشرك، والشرك المَقصود هنا: هو الشرك فِي الألوهية، أما الشرك فِي الربوبية، فهذا غير موجودٍ فِي الغالب.

فالأمم كلها مقرةٌ بتوحيد الربوبية اضطرارًا، لَمْ يَجحده إلا من تظاهر بالإنكار، مع أنه يعترف به فِي الباطن؛ لأن الإقرار به ضروريٌّ، فالجَميع يعرف أن هذا الخَلق وهذا الكون لابدَّ له من خالقٍ، وهذا الخلق الذي يسير لابدَّ له من مدبِّرٍ، ليس موجودًا بمجرد الصدفة أو موجودًا من نفسه ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ۝٣٦﴾ [الطور: ٣٥ - ٣٦].

فالإقرار بتوحيد الربوبية ضروريٌّ وفطريٌّ لكنه لا يكفي، لَمْ يكفِ المشركين إقرارُهم به كما فِي القرآن، فالقرآن صريحٌ فِي هذا ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ﴾ [الزخرف: ٨٧] ماذا يُجيبون؟ يُجيبون: (الله)، أي: الله هو الذي خلقنا، هذا توحيد الربوبية، فالمطلوب هو توحيد الألوهية، هذا الذي

حصل فيه النزاع والخِلاف والخِصام بين الرسل والأمم، وبين الدعاة إِلَىٰ الله وبين الناس، هذا هو الذي فيه الخُصومة، فيه القتال، وفيه ما يتعلق بذلك من الولاء والبراء وغير ذلك.

* * *

وَكَوْنُ أَكْثَرِ الْقُرْآنِ فِي بَيَانِ هَذَا الأَصْلِ مِنْ وُجُوهٍ شَتَّىٰ بِكَلَامٍ يَفْهَمُهُ أَبْلَدُ الْعَامَّةِ.

الله - جل وعلا - يقول: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦] هل هذا كلامٌ غامضٌ؟ العوام يفهمونه ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ يفهمون من هذه الأمر بالعبادة والنهي عن الشرك، ولو أنَّهم لَمْ يتعلموا، يعرفون هذا من لغاتهم، هذه آيةٌ واحدةٌ، والقرآن مملوءٌ من مثل هذا.

هذه الآيات يَمرون عليها ويقرءونها، لكن لا يفكرون فيها، يقول الله تعالىٰ: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].

وهم يقولون: يا علي، يا حسين، يا بدوي، يا تيجاني، يا عبد القادر، يصرخون ويصيحون وينادون بأعلىٰ أصواتهم: يا فلان يا فلان، وفلان هذا ميت!!!

وهذا الذي ينادي الميت ويصرخ ربَّما أنه يَحفظ القرآن بالقراءات السبع أو العشر، ويَجوِّده تَجويدًا منقطع النظير، «**يُقيمه إقامة السهم**» - كما قال النَّبي ﷺ - لكنه يعتنِي بحروفه ويضُيع حدوده.

يقول الإمام ابن القيم: القرآن كله فِي التوحيد، لأنه إما أمرٌ بعبادة الله وترك الشرك، وإما بيانٌ لِجزاء أهل التوحيد، وجزاء أهل الشرك، وإما فِي

أحكام الحلال والحرام، وهذه من حقوق التوحيد، وإما قصصٌ عن الرسل وأممهم وما حصل بينهم من الخُصومات، وهذا جزاء التوحيد والشرك.

فالقرآن كله توحيدٌ، من أوله إلَىٰ آخره، ومع هذا يقرءون هذا القرآن وهم مقيمون علىٰ الشرك الأكبر، ويقولون: لا إله إلا الله. ولا يعملون بِهَا، هم في وادٍ والقرآن ولا إله إلا الله في وادٍ آخر، إنَّما هي ألفاظ علىٰ اللسان فقط.

لو تسأل واحدًا منهم: ما معنىٰ لا إله إلا الله؟ لقال لك: لا أدري، أنا لَمْ أتعلم.

فنقول له: إذن أنت تقول: لا إله إلا الله ولا تعلم ما معناها، هل هذا يليق بالمسلم؟!

تقول كلامًا لا تعرف معناه ولا تهتم به، أو تقول: سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته، مثلما يقول المُنافق فِي القبر إذا سئل: يقول: «**سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته**» مجرد محاكاة.

كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [البقرة: ١٧١] شبَّههم الله بالبهائم الَّتي تسمع صوت الراعي وتسمع الحُداء، وتمشي علىٰ صوت الراعي وهي لا تفهم معناه.

ثُمَّ لَـمَّا صَارَ عَلَىٰ أَكْثَرِ الْأُمَّةِ مَا صَارَ، أَظْهَرَ لَـهُمُ الشَّيْطَانُ الْإِخْلَاصَ فِي صُورَةِ تَنَقُّصِ الصَّالِـحِينَ، وَالتَّقْصِيرِ فِي حُقُوقِهِمْ(*)، وَأَظْهَرَ لَـهُمُ الشِّرْكَ بِاللهِ فِي صُورَةِ مَحَبَّةِ الصَّالِـحِينَ وَأَتْبَاعِهِمْ(**).

(*) **إذا قيل لَهم**: لا تَدْعوا المَخلوقين، ولا تستغيثوا بِهم، ادعوا الله واستغيثوا بالله، واسألوا الله، وتوجهوا إِلَىٰ الله، لا تتوجهوا إِلَىٰ القبور والأموات.

يقولون: أنت تتنقص الأولياء، هؤلاء الأولياء قدرهم عندنا أن نجلهم ونَحترمهم ونهتف بأسمائهم، هذا قدرهم، فأنت تتنقصهم ولا تعترف بفضلهم، هكذا يقولون لدعاة التوحيد.

فنقول لَهم: نحن نُحب الصالِحين، ونُحب أولياء الله، ونواليهم ونُجلُّهم ونحترمهم، ولكن لا نعطيهم شيئًا من حق الرب سبحانه وتعالىٰ، ولا نعطيهم شيئًا من العبادة؛ لأنها ليست حقًّا لَهم، وهم لا يرضون بِهذا، ولا يرضون بأنهم يُدعَون مع الله ويُستغاث بِهم فِي الشدائد.

(**) **هم يقولون**: إن استغاثتهم بالصالحين واستنجادهم بهم اعترافٌ بفضلهم وإجلالٌ لَهم، وهذا ما زيَّن لَهم الشيطان، والمراد بالشيطان: شيطان الجن وشيطان الإنس، علماء الضلال شياطين الإنس

يتكلمون ويكتبون ويؤلفون فِي الدعوة إِلَىٰ الشرك، ويزعمون أن هذا من تعظيم الصالحين، ومن الاعتراف بفضلهم، ومن موالاتهم، وأن عدم دعائهم وعدم الاستغاثة بِهم من الجفاء فِي حقهم، ومن بغضهم، إِلَىٰ آخر ما يقولون، هذا موجودٌ فِي كتبهم.

* * *

الأَصْلُ الثَّانِي

أَمَرَ اللهُ بِالاجْتِمَاعِ فِي الدِّينِ، وَنَهَىٰ عَنِ التَّفَرُّقِ فِيهِ، فَبَيَّنَ اللهُ هَذَا بَيَانًا شَافِيًا تَفْهَمُهُ الْعَوَامُّ.

هذا الأصل موجودٌ في القرآن، قال تعالَىٰ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٥]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ﴾ [الشورىٰ: ١٣].

فلا يجوز للمسلمين أن يتفرقوا في دينهم، بل يجب أن يكونوا أمةً واحدةً علىٰ التوحيد ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾.

[الأنبياء: ٩٢]

لا يجوز لأمة مُحَمَّد أن تتفرق في عقيدتها، وفي عبادتها، وفي أحكام دينها، هذا يقول: حلالٌ. وهذا يقول: حرامٌ. بغير دليل، لا يجوز هذا.

لا شك أن الاختلاف من طبيعة البشر، كما قال الله سبحانه: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١١٨ - ١١٩].

لكن الاختلاف يحسم بالرجوع إلَىٰ الكتاب والسنة، فإذا اختلفت أنا

وأنت فإنه يَجب علينا أن نرجع إلَىٰ كتاب الله وسُنة رسوله ﷺ، قال تعالىٰ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ [النساء: ٥٩].

أما ما يقال: كلٌّ يبقىٰ علىٰ مذهبه، وكلٌّ يبقىٰ علىٰ عقيدته، والناس أحرارٌ فِي آرائهم، ويطالبون بِحرية العقيدة، وحرية الكلمة، هذا هو الباطل الذي نهىٰ الله عنه، فقال: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

فيجب أن نَجتمع فِي عرض اختلافنا علىٰ كتاب الله حَتَّىٰ فِي مسائل الفقه، إذا اختلفنا فِي شيء نعرضه علىٰ الأدلة، فمن شهد له الدليل صرنا معه، ومن أخطأ الدليل، فإننا لا نأخذ بالْخطأ.

إن الله - جل وعلا - لَمْ يتركنا نَختلف ونتفرق بدون أن يضع لنا ميزانًا يبين الصحيح من الخطأ، بل وضع لنا القرآن والسُّنة ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ يعني: القرآن، ﴿وَٱلرَّسُولِ﴾ يعني: السنة. والرسول ﷺ يقول: «**إني تارك فيكم ما إنْ تمسَّكتم به لن تضلوا بعدي: كتاب الله وسنتِي**».

فكأن الرسول ﷺ موجودٌ بيننا بوجود السُّنة مدونةً ومصححةً وموضحةً، وهذا من فضل الله سبحانه وتعالىٰ علىٰ هذه الأمة، أنه لَمْ يتركها فِي متاهةٍ، بل تركها وعندها ما يدلُّها علىٰ الله سبحانه وتعالىٰ ويدلُّها علىٰ الصواب، أما الذي لا يريد الْحق، ويريد أن كل واحدٍ يبقىٰ علىٰ مذهبه وعلىٰ نِحلَته، ويقول: نَجتمع فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا

فيما اختلفنا فيه. هذا لا شك أنه كلام باطل.

فالواجب أن نَجتمع علىٰ كتاب الله وسُنة رسوله، وما اختلفنا فيه نردُّه إلىٰ كتاب الله وسُنة رسوله، لا يعذر بعضنا بعضًا ونبقىٰ علىٰ الاختلاف؛ بل نردُّه إلىٰ كتاب الله وسُنة رسوله، وما وافق الْحَقَّ أخذنا به، وما وافق الخطأ نرجع عنه. هذا هو الواجب علينا، فلا تبقىٰ الأمة مختلفةً، وربَّما يذكر الذين يدعون إلىٰ البقاء علىٰ الاختلاف حديث: «**اختلاف أمتي رحمةٌ**» وهذا الحَديث يروىٰ ولكنه ليس صحيحًا.

الاختلاف ليس رحمةً، الاختلاف عذابٌ، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، فالاختلاف يشتت القلوب ويفرق الأمة، ولا يمكن للناس إذا صاروا مختلفين أن يتناصروا ويتعاونوا أبدًا، بل يكون بينهم عداوة وعصبيةٌ لفرَقهم وأحزابهم، ولا يتعاونون أبدًا.

إنَّما يتعاونون إذا اجتمعوا واعتصموا بحبلِ الله جميعًا، وهذا هو الذي أوصىٰ به النَّبِي ﷺ، فقال: «**إن الله يرضىٰ لكم ثلاثًا: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بِحبل الله جميعًا ولا تفرَّقوا، وأن تناصحوا مَنْ ولَّاه الله أمركم**».

هذه الثلاث يرضاها الله لنا.

والشاهد منها قوله: «وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا».

وليس معنىٰ هذا أنه لا يوجد اختلاف ولا يوجد تفرق.

طبيعة البشر وجود الاختلاف، ولكن معنىٰ هذا: أنه إذا حصل اختلافٌ أو تفرقٌ يُحسم بالرجوع إلىٰ كتاب الله وسُنة رسوله ﷺ وينتهي النزاع وينتهي الاختلاف، هذا هو الحق.

وليس تَحكيم القرآن أو تَحكيم السُّنَّة مقتصرًا علىٰ مسألة النزاع فِي الخصومات بين الناس فِي الأموال، حيث يسمون الحُكم بِما أنزل الله، أنه الحْكم بين الناس فِي أموالهم ونزاعاتهم فِي أمور الدنيا فقط.

لا؛ بل هو الحكم بينهم فِي كل اختلافٍ وكل نزاعٍ، والنزاع فِي العقيدة أشد من النزاع في الأموال، والنزاع فِي أمور العبادات وأمور الحلال والحرام أشد من النزاع فِي الخُصومات فِي الأموال، إنَّما الخُصومات فِي الأموال جزءٌ أو جزئيةٌ من الاختلاف الذي يَجب حسمه بكتاب الله عزوجل، والصحابة رضي الله عنهم كان يحصل بينهم اختلاف لكن سرعان ما يرجعون إلَىٰ كتاب الله وسُنة رسوله ﷺ فينتهي اختلافهم.

فقد حصل بينهم اختلاف بعد وفاة النَّبي ﷺ حول من الذي يتولَّىٰ الأمر من بعده؟ وسرعان ما حسموا النزاع ورجعوا وولَّوا أبا بكرٍ الصديق، وانقادوا له وأطاعوا له، وزال الاختلاف، وانحسمت

الفرقة الَّتي حصلت فيمن يتولَّىٰ الأمر بعد الرسول ﷺ، فهم يحصل بينهم اختلافات لكن يرجعون إلىٰ كتاب الله وسُنة رسوله ﷺ، ثُمَّ يذهب الاختلاف فيما بينهم.

وإن الرجوع إلىٰ كتاب الله يُزيل الأحقاد ويُزيل الأضغان، فلا أحد يعترض علىٰ كتاب عز وجل، فإنك عندما تقول لإنسان: تعال إلىٰ قول الإمام الفلاني أو العالم الفلاني لا يقتنع.

لكن لو قلت له: تعالَ إِلَىٰ كتاب الله وإِلَىٰ سُنة رسوله ﷺ، فإن كان فيه إيمانٌ فهو يقتنع ويرجع.

قال الله تعالَىٰ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النور: ٥١] هذا قول المؤمنين، أما المُنافقون إن كان الْحق لَهم جاءوا مذعنين، وإن كان الْحق عليهم تولَّوا وأعرضوا كما ذكر الله عنهم.

فلا يسع المْؤمنين أن يبقوا علىٰ اختلافهم فِي جميع الاختلافات، لا فِي الأصول ولا فِي الفروع، كلها تُحسم بالكتاب والسُّنَّة، وإذا لَمْ يتبين الدليل مع أحد المُجتهدين، وصار لا مرجِّح لقول أحدهم علىٰ الآخر، ففي هذه الْحالة لا ينكر علىٰ من أخذ بقول إمام معين، ومِنْ ثَمَّ قال العلماء: «لا إنكار فِي مسائل الاجتهاد» أي: المسائل الَّتي لَمْ يظهر الدليل فيها مع أحد الطرفين.

وَنَهَانَا أَنْ نَكُونَ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا قَبْلَنَا فَهَلَكُوا(*)، وَذَكَرَ أَنَّهُ أَمَرَ الْمُسْلِمِينَ بِالاجْتِمَاعِ فِي الدِّينِ وَنَهَاهُمْ عَنِ التَّفَرُّقِ فِيهِ(**).

وَيَزِيدُهُ وُضُوحًا مَا وَرَدَتْ بِهِ السُّنَّةُ مِنَ الْعَجَبِ الْعُجَابِ فِي ذَلِكَ(***).

ثُمَّ صَارَ الْأَمْرُ إِلَىٰ أَنَّ الافْتِرَاقَ فِي أُصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ هُوَ الْعِلْمُ وَالْفِقْهُ فِي الدِّينِ(****).

(*) لـمَّا بقوا علىٰ اختلافهم، هلكوا وتناحروا فيما بينهم وتقاتلوا، هذا شأن أهل الاختلاف، أما شأن أهل الاجتماع فهو القوة وزوال الحقد من قلوبهم.

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥]

ولا يرضي الناس ولا ينهي النزاع إلا الرجوع إلىٰ كتاب الله وسُنة رسوله ﷺ.

(**) **قال تعالىٰ:** ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورىٰ: ١٣]. أي: لا يصير كل واحدٍ له دينٌ؛ لأن الدين واحدٌ ليس فيه تفرق.

(***) نعم، ثبت عن الرسول ﷺ من الأحاديث ما يَحُثُّ علىٰ الاجتماع وينهىٰ عن التفرق والاختلاف.

مثل حديث: «فإنه من يعش منكم فسيرىٰ اختلافًا كثيرًا، فعليكم بُسنتي وسنة الخلفاء الراشدين» الحديث.

(****) **صار الأمر مع الأسف عند المُتأخرين:** أن الاختلاف فِي الأصول والفروع هو الفقه، مع أن الواجب العكس: أن الاجتماع هو الفقه فِي دين الله.

هم يقولون: إن التفرق وإعطاء الحرية للناس وعدم الحَجْر عليهم هذا هو الفقه.

ونَحن نقول: الفقه هو: الاجتماع علىٰ كتاب الله وسُنة رسوله ﷺ.

بعضهم يقول: هذا من سعة الإسلام أنه إذا حرم علينا أحد شيئًا نجد من يفتي بِحلّه، اتّخذوا الناس هم المشرِّعين، فعلىٰ رأي هؤلاء إذا قال فلانٌ: هذا حلال، صار حلالًا لنا ولو كان حرامًا فِي كتاب الله أو سُنة رسوله.

فنقول: نرجع إِلَىٰ كتاب الله، فمن شهد له بالْحَق أخذنا به، ومن شهد عليه بالخطأ تركناه، هذا هو الواجب.

* * *

وَصَارَ الْأَمْرُ بِالاجْتِمَاعِ فِي الدِّينِ لَا يَقُولُهُ إِلَّا زِنْدِيقٌ أَوْ مَجْنُونٌ!!

الذي يأمر بالاجتماع وترك الْخلاف يقولون عنه: هذا خارجٌ علىٰ الأمة، هذا زنديقٌ؛ لأنه يلغي أقوال العلماء، فنحن لا نلغي أقوال العلماء، إنَّما نعرضها علىٰ كتاب الله، نحن لَمْ نكلَّف باتباع الناس، إنَّما أُمرنا باتباع القرآن والسُّنة، هذا هو الْحق، ما أُمرنا باتباع فلانٍ وفلانٍ، والله تعالَىٰ لَمْ يَكِلنا إِلَىٰ آرائنا واجتهاداتنا، بل أنزل علينا كتابه وأرسل إلينا رسوله، وإذا رجعنا إِلَىٰ كتاب الله وسنة رسوله ﷺ زال الشقاق وزال الاختلاف واجتمعت الكلمة.

أتدرون أنه إِلَىٰ عهدٍ قريبٍ كان فِي المَسجد الحرام أربعة مَحاريب، كل أصحاب مذهبٍ يصلُّون جماعةً وحدهم مع أهل مذهبهم بجوار الكعبة، حتَّىٰ قيَّض الله مَنْ جمعهم علىٰ إمامٍ واحدٍ وزال - ولله الْحَمد - هذا المظهر السيئ.

هذا كله من اتباع الْمذاهب واتباع الآراء، حَتَّىٰ الصلاة فرَّقوها، صار الحنفي لا يصلي وراء الحنبلي، والحنبلي لا يصلي وراء الشافعي، ولا يصلون فِي وقتٍ واحدٍ، هذا يصلي فِي أول الوقت وهذا فِي آخره؛ لأن فلانًا يرىٰ تأخير الصلاة، وفلانًا يرىٰ تقديمها، يريدون أن يرضوا جميع الناس.

وهذا وجدناه فِي بعض البلاد الأخرىٰ باقيًا إِلَىٰ الآن، حَتَّىٰ الْجُمعة لا يصلونها فِي وقتٍ واحدٍ، بعضهم لا يصليها إلا عند العصر؛ لأن فلانًا قال: كذا وكذا، وإذا أراد أحدهم أن يصلي مبكرًا ذهب يصلي مع فلانٍ، وإذا أراد أحدهم أن يتأخر صلىٰ مع فلانٍ، ولكن عندنا - ولله الْحَمد - فِي هذه البلاد فِي ظل هذه الدعوة الْمُباركة عادوا فِي الْمَسجد الحرام إِلَىٰ ما كان عليه السلف الصالح يصلون جميعًا فِي وقتٍ واحدٍ وخلف إمامٍ واحدٍ.

* * *

الأَصْلُ الثَّالِثُ

إِنَّ مِنْ تَمامِ الاجْتِماعِ السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ لِـمَنْ تَأَمَّرَ عَلَيْنا وَلَوْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا(*)، فَبَيَّنَ اللهُ هَذَا بَيَانًا شَافِيًا كَافِيًا بِوُجُوهٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْبَيَانِ شَرْعًا وَقَدَرًا(**).

(*) **الأصل الثالث**: طاعة ولي الأمر المسلم؛ لأنه لا يتم هذا الاجتماع إلا بطاعة ولي الأمر، فلا اجتماع إلا بإمامٍ، ولا إمامة إلا بسمع وطاعةٍ، فوليُّ الأمر المسلم جعله الله رحمةً للمسلمين لإقامة الحدود، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونصرة المظلوم من الظالِمِ، وحفظ الأمن.

هذا من رحمة الله عز وجل، والصحابة لَـمَّا توفِّي الرسول ﷺ لَمْ يدفنوه حَتَّىٰ بايعوا إمامهم؛ لأنَّهم يخشون من الاختلاف ومن الفتنة، لأنَّهم يعرفون أنه لا يصلح أن يعيشوا ولا ليلةً واحدةً بدون إمام؛ لأن هذا من ضروريات الدين.

ولا يُمكن أن يكون هذا إلا بالسمع والطاعة لوليِّ الأمر، ولهذا يقول - جل وعلا -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]. بعد طاعة الله وطاعة رسوله لا بدَّ من طاعة أولي الأمر، وقوله: ﴿مِنكُمْ﴾ أي: من المسلمين، دلَّ علىٰ أنه يُشترط فِي ولي الأمر أن يكون مسلمًا.

(**) **حيث قال ﷺ**: «**أوصيكم بتقوىٰ الله، والسمع، والطاعة، وإن**

تأمر عليكم عبد، فإنه من يَعِش منكم فسيرى[1] اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين».

هذا الأصل الثالث: السمع والطاعة: «اسمعوا وأطيعوا وإن تأمَّر عليكم عبدٌ»، فلا يمكن أن تحصل جماعةٌ للمسلمين إلا بولي أمرٍ مسلم ولو لَمْ يكن ذا نسب عربي بل لو كان مملوكًا.

* * *

ثُمَّ صَارَ هَذَا الْأَصْلُ لَا يُعْرَفُ عِنْدَ أَكْثَرِ مَنْ يَدَّعِي الْعِلْمَ فَكَيْفَ الْعَمَلُ بِهِ؟!

صار هذا الأصل لا يُعرف عند كثيرٍ مِمَّن يدعي العلم، فيجهلون مسألة السمع والطاعة وما لَهَا من فضلٍ وما لَهَا من أهميةٍ، فكيف بالعوام وهم أشد جهلًا في هذا ؟

فصار الشجاع - الذي يأمر بالْمعروف وينهىٰ عن المنكر عندهم والذي لا تأخذه في الله لومة لائم، عندهم -: هو الذي يَخرج علىٰ إمام المسلمين، ويَخلع يد الطاعة، وينادي بالثورة علىٰ الحكام المسلمين بِمجرد حصول خطأ منهم، أو معصية لا تصل إِلَىٰ حد الكفر.

وصار حديث المَجالس والندوات والمُحاضرات في تتبع عثرات الولاة وتفخيمها والنفخ فيها، حَتَّىٰ يئول الأمر إلىٰ تفرُّق الكلمة، وتنفير الرعية من طاعة ولي الأمر حَتَّىٰ يَختلَّ الأمن وتُسفك الدماء، ويئول الأمر إِلَىٰ فساد أشد من الفساد الذي يَحصل من الصبر علىٰ طاعة ولي الأمر الفاسق والظالم الذي عندهم لَمْ يصدر منه كفر بواح عندهم عليه من الله سلطان.

* * *

الأَصْلُ الرَّابِعُ

بَيَانُ الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ، وَالْفِقْهِ وَالْفُقَهَاءِ(*)، وَبَيَانُ مَنْ تَشَبَّهَ بِهِمْ وَلَيْسَ مِنْهُمْ(**).

(*) **هذا أصلٌ عظيمٌ**: وهو بيان المراد بالعلم؟ وهو أن العلم هو العلم الشرعي المبنِي علىٰ كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، هذا هو العلم النافع، أما علوم الدنيا من الحِرف والصناعات والطب وغير ذلك، هذه لا يطلق عليها العلم بدون قيد.

فإذا قيل: العلم، والذي فيه الفضل، فإن المراد به العلم الشرعي، أما علم الحِرف والصناعات والمهن فهذه علومٌ مباحةٌ ولا يطلق عليها اسم العلم بدون قيدٍ.

إنَّما يقال: علم الهَندسة، وعلم الطب، لكن للأسف أصبح الآن في عُرف الناس إذا قيل: العلم، فإنه يراد به العلم الحْديث، ويقولون إذا سمعوا شيئًا من القرآن: هذا يشهد له العلم الحديث. وإذا جاء حديثٌ قالوا: هذا يشهد له العلم.

صار العلم الآن يطلق علىٰ علم الحِرف والصناعات والطب وغير ذلك، مع أنه قد يكون جهلًا؛ لأنه قد يعتريه شيءٌ من الخطأ الكثير؛ لأنه

مَجهودٌ بشري، خلافَ العلم الشرعي فإنه من الله، فهو ﴿لَا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾ [فصلت: ٤٢].

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]، وهم علماء الشرع الذين يعرفون الله عَزَّوَجَلَّ أما علماء الهَنْدسة والصناعة والاختراع والطب، فهؤلاء قد يكونون يَجهلون حق الله - جل وعلا - ولا يعرفون الله وإن عرفوه فمعرفتهم قاصرة، لكن الذين يعرفون الله هم علماء الشرع، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ لأنهم يعرفون الله بأسمائه وصفاته، ويعرفون حقه سبحانه وتعالىٰ، وهذا لا يحصل بعلم الطب وعلم الهَندسة، وإنَّما يَحصل به توحيد الربوبية فقط أما توحيد الألوهية فهذا إنما يحصل بعلم الشرع.

(**) المَقصود بيان من تشبَّه بأهل العلم وليس هو من أهل العلم، إنَّما يُحاكي أهل العلم ويتشبَّه بِهم وهو لا يملك رصيدًا من العلم، وهذا ضرره عظيم علىٰ نفسه وعلىٰ الأمة؛ لأنه يقول علىٰ الله بغير علم، ويُضل الناس بغير علم، قال تعالَىٰ: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ﴾ [الأنعام: ١٤٤]، وقد قيل: «يفسد الدنيا أربعةٌ: نصف فقيه، ونصف نَحوي، ونصف طبيب، ونصف متكلم، هذا يفسد البلدان، وهذا يفسد اللسان، وهذا يفسد الأبدان، وهذا يفسد الأديان».

* * *



وَقَدْ بَيَّنَ اللهُ تَعَالَىٰ هَذَا الأَصْلَ فِي أَوَّلِ سُورَةِ «الْبَقَرَةِ» مِنْ قَوْلِهِ: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾ [البقرة: ٤٠]، إِلَىٰ قَوْلِهِ قَبْلَ ذِكْرِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ الآيَةَ، [البقرة: ١٢٢](*).

وَيَزِيدُهُ وُضُوحًا مَا صَرَّحَتْ بِهِ السُّنَّةُ فِي هَذَا مِنَ الْكَلَامِ الْكَثِيرِ الْبَيِّنِ الْوَاضِحِ لِلْعَامِّيِّ الْبَلِيدِ(**).

(*) الله - جل وعلا - في سورة «البقرة» أنزل آيات كثيرة في بني إسرائيل لتذكيرهم بنعمة الله عليهم، وأمرهم باتباع مُحَمَّد ﷺ الذي يعرفون نبوته ورسالته في كتبهم، وبشرت به أنبياؤهم، بدأها من قوله: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾ [البقرة: ٤٠] وختمها بقوله: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٢]، ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ﴾ [البقرة: ١٢٣]، ثُمَّ ذكر إبراهيم - عليه الصلاة والسلام -، فقال: ﴿۞وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ﴾. [البقرة: ١٢٤]

كل هذه الآيات ما بين الآية الأولىٰ والآية الأخيرة، آياتٌ كثيرةٌ كلها في بني إسرائيل لتذكيرهم بنعمة الله بإرسال الرسل وإنزال الكتب، وأن الواجب عليهم أن يؤمنوا برسول الله محمَّد ﷺ.

وبنو إسرائيل هم أولاد يعقوب، فإسرائيل هو يعقوب؛ لأنهم من ذريته وهم اثنا عشر سبطًا، كل ابنٍ من أبنائه صار له ذريةٌ، وكل ذريةٍ يسمون السِّبط بمثابة القبائل فِي العرب، قال تعالىٰ: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾ [الأعراف: ١٦٠].

(**) نعم جاءت الأحاديث الَّتي فيها من الحثِّ علىٰ تعلم العلم والترغيب فيه، وبيان ما هو العلم النافع وما هو العلم الذي لا ينفع الشيء الكثير، وإذا راجعت كتاب «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر أو غيره، عرفت هذا.

* * *

ثُمَّ صَارَ هَذَا أَغْرَبَ الْأَشْيَاءِ، وَصَارَ الْعِلْمُ وَالْفِقْهُ هُوَ الْبِدَعَ وَالضَّلَالَاتِ(*)، وَخِيَارُ مَا عِنْدَهُمْ لَبْسُ الحَقِّ بِالْبَاطِلِ(**).

وَصَارَ الْعِلْمُ الَّذِي فَرَضَهُ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ الْخَلْقِ وَمَدَحَهُ لَا يَتَفَوَّهُ بِهِ إِلَّا زِنْدِيقٌ أَوْ مَجْنُونٌ(***)، وَصَارَ مَنْ أَنْكَرَهُ وَعَادَاهُ وَصَنَّفَ فِي التَّحْذِيرِ مِنْهُ وَالنَّهْيِ عَنْهُ هُوَ الْفَقِيهَ الْعَالِمَ(****).

(*) صار العلم والفقه عند بعض المُتأخرين هو البدع والضلالات؛ لأنَّهم تركوا العلم الصحيح المبنِي علىٰ كتاب الله وسُنة رسوله ﷺ، وصار العلم عندهم: قال فلان وقال فلانٌ، وحكاياتٌ.

كقولهم: إن القبر الفلاني ينفع من كذا، وإن البقعة الفلانية رأىٰ فيها فلانٌ في المنام كذا، هذا علم هؤلاء، أو يبحثون عن الأحاديث المَوضوعة والمَقبورة الَّتي قبرها أهل العلم، وبينوا أنَّها مكذوبةٌ، فتجد المُخرفين يَجعلونها صحيحةً ويزينون لَها أسانيد، ويرمونها ويقولون: هذه أحاديث صحيحة، ويتركون الأحاديث الصحيحة الواردة في «البخاري» و«مسلم» والسنن الأربع والمْسانيد المُعتبرة، يتركونها لأنها ليست فِي صالحهم.

(**) يَجب أن يُميز الحق من الباطل ويفصل بينهما، أما إذا خُلط بينهما فهذا هو التلبيس والغش والتدليس علىٰ الناس.

(***) لأنه يُخالف ما هم عليه، فالعلم الذي أثنىٰ الله عليه وعلىٰ أهله ومدحه صار عندهم جهلًا، ومن تفوه به - أي: تكلم به - فهو مجنونٌ؛ لأنهم يقولون: إن العلم الذي فرضه الله يغير ما عليه الناس!! ويغير دين آبائنا وأجدادنا!!

(****) من صنَّف في التحذير من العلم النافع، ومدح العلم المَذموم ونشره في الناس يقولون عنه: هذا هو الفقيه، هذا هو العالِم، أما من نشر العلم الصحيح يقولون عنه: هذا لا يصلح، وهذا جاهل، وهذا يريد أن يفرق الناس، إنا نريد التجميع لا نريد التفريق، أي: التجميع ولو علىٰ الباطل، ولا نريد التفريق الذي فيه تَمييز الحق من الباطل، وتمييز الطيب من الْخبيث، وهذا مُحال، فإنه لا يحصل الاجتماع علىٰ الباطل، وإنَّما يَحصل الاجتماع علىٰ الحق، والشاعر يقول:

إذا ما الجرح رَمَّ علىٰ فسادٍ   تبيَّن فيه إهمال الطبيبِ

* * *

الأَصْلُ الخَامِس

بَيَانُ اللهِ سُبْحَانَهُ لِأَوْلِيَاءِ اللهِ وتَفْرِيقُهُ بَيْنَهُمْ وبَيْنَ المُتَشَبِّهِينَ بِهِمْ مِنْ أَعْدَاءِ اللهِ المُنَافِقِينَ وَالفُجَّارِ(*)، وَيَكْفِي فِي هَذَا آيَةٌ مِنْ سُورَةِ «آلِ عِمْرَانَ»، وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ الْآيَةَ [آل عمران: ٣١](**).

(*) نعم، هذا أصلٌ عظيمٌ، وهو التفريق بين أولياء الله وأولياء الشيطان؛ لأن أهل الباطل صاروا يسمون أولياء الشيطان أولياء الله، حَتَّىٰ إن هذا الأمر التبس علىٰ الناس؛ ولذلك صنف شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ كتابًا نافعًا مفيدًا سماه: «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان»، قال الله تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢﴾ [يونس: ٦٢].

ثُمَّ بيَّنهم بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ [يونس: ٦٣]. هؤلاء هم أولياء الله، جمعوا بين الإيمان وبين التقوىٰ، بين العلم النافع والعمل الصالح، هؤلاء هم أولياء الله، ليس أولياء الله من خرج علىٰ شرع الله وغيَّر دين الله، ودعا إِلَىٰ عبادة القبور والأضرحة، هذا ولي الشيطان، ليس الولي هو الساحر والكاهن والخُرافي الذي يُظهر للناس مَخاريقَ سحرية، ويقول: هذه كراماتٌ!! وهي في الحقيقة مَخاريق شيطانيةٌ.

(**) محبة الله هي أعظم أنواع العبادة، وعلامة مَحبة الله: اتباع الرسول ﷺ، فالذي لا يتبع الرسول ليس وليًّا لله، ولا يُحب الله، وهؤلاء المُخرفون يقولون: لا يكون وليًّا لله إلا إذا خرج عن طاعة الرسول ﷺ، فهم عندهم الولاية في الخروج عن سُنة الرسول ﷺ، والاعتماد علىٰ الخرافات والبدع، هذه هي الولاية عندهم!!

هم يقولون: نَحن نعبد الله لأننا نُحبه، لا نعبده خوفًا من ناره ولا طمعًا في جنته، وإنَّما نعبده لأننا نُحبه.

فيقال لهم: تُحبونه علىٰ طريقة من؟ هل تُحبونه علىٰ طريقة الرسول ﷺ، أو علىٰ طريقة غيره؟ إنه لا يُحب الله إلا من اتبع الرسول ﷺ، هذا هو الفاصل بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان.

* * *

وَآيَةٌ فِي سُورَةِ «المَائِدَةِ»، وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤] الآيَةَ(*)، وَآيَةٌ فِي «يُونُسَ»، وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣](**).

(*) هذه صفات أولياء الله، أنَّهم يُحبون الله ويُحبهم الله، ويكونون ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤] يعني: يُحبون المُؤمنين، وفيهم ولاءٌ للمؤمنين، وفيهم بغض وبراءةٌ من المشركين ﴿يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤] هذه أربع صفات هي صفات أولياء الله، وأما الذين يأمرون بعبادة غير الله يدعون مَنْ في القبور والأموات والأضرحة، ويسمون خوارق الشيطان كرامات من الله، فهذه صفات أعداء الله.

(**) فأنت تأخذ من هذه الآيات الثلاث صفة أولياء الله، الأولىٰ في سورة «آل عمران»، والآية الثانية في سورة «المْائدة»، والثالثة في سورة «يونس»، فيها صفات أولياء الله، من اتصف بِهَا فهو وليٌّ لله، ومن اتصف بضدها فهو وليٌّ للشيطان.





ثُمَّ صَارَ الْأَمْرُ عِنْدَ أَكْثَرِ مَنْ يَدَّعِي الْعِلْمَ، وَأَنَّهُ مِنْ هُدَاةِ الْخَلْقِ وَحُفَّاظِ الشَّرْعِ إِلَىٰ أَنَّ الْأَوْلِيَاءَ لَابُدَّ فِيهِمْ مِنْ تَرْكِ اتِّبَاعِ الرُّسُلِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ فَلَيسَ مِنْهُمْ.

وَلَابُدَّ مِنْ تَرْكِ الْجِهَادِ، فَمَنْ جَاهَدَ فَلَيسَ مِنْهُمْ، وَلَابُدَّ مِنْ تَرْكِ الْإِيمَانِ وَالتَّقْوَىٰ، فَمَنْ تَعَهَّدَ بِالْإِيمَانِ وَالتَّقْوَىٰ فَلَيْسَ مِنْهُمْ، يَا رَبَّنَا نَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ.

إذا خرج عن الشرع، يقال عندهم: هذا عارفٌ وصل إِلَىٰ الله ليس بِحاجة إِلَىٰ اتباع الرسول، يأخذ عن الله مباشرة.

يقولون: أنتم تأخذون دينكم عن ميت عن ميت - يعني: بالأسانيد - ونَحن نأخذ ديننا عن الحي الذي لا يَموت، يزعمون أنَّهم يأخذون عن الله مباشرةً.

ومنْ يأخذ عن الرُّسل فليس من الأولياء عندهم، فلا يكون وليًّا عندهم إلا من خرج عن طاعة الرسول ﷺ.

ولا يصير الولي الآن في عرف كثيرٍ من المُتأخرين إلا من بُني علىٰ قبره قبةٌ أو مسجدٌ، أما المَدفون الذي دفنه علىٰ السُّنة الذي لَمْ يوضع علىٰ قبره شيءٌ، فهو عندهم ليس بوليٍّ ولو كان من أفضل الناس.

ثُمَّ أيضًا عندهم الولي له زيٌّ خاصٌّ، بأن يلبس عمامةً ويلبس ثوبًا خاصًّا.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ليس لأولياء الله علامةٌ يتميزون بِهَا، بل يكونون كسائر الناس ما يُعرفون، والرسول ﷺ يقول: «**رُبَّ أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم علىٰ الله لأبرَّه**».

هذه صفات أولياء الله أنهم لا يظهرون أنفسهم، بل يَحرصون علىٰ الاختفاء، لأجل الإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ.

إذن من صفات أولياء الله: التواضع، والاختفاء وعدم الظهور.

* * *

الأَصْلُ السَّادِسُ

رَدُّ الشُّبْهَةِ الَّتِي وَضَعَهَا الشَّيْطَانُ فِي تَرْكِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَاتِّبَاعِ الْآرَاءِ وَالْأَهْوَاءِ الْمُتَفَرِّقَةِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَهِيَ أَنَّ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ لَا يَعْرِفُهُمَا إِلَّا الْمُجْتَهِدُ الْمُطْلَقُ.

هذا هو الأصل الأخير وهو مهمٌّ جدًّا، وهو أنَّهم يقولون: إنَّا لا نعرف معاني الكتاب والسُّنة، ولا يُمكن أن نعرفها، لا يعرفها إلا العلماء الكبار.

فيقال لَهم: القرآن فيه أشياء واضحةٌ يعرفها العامي ويعرفها المتعلم، تقوم بِهَا الحجة علىٰ الخلق، وفيه أشياء لا يعرفها إلا العلماء، وفيه أشياء لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالىٰ.

نعم يوجد في القرآن والسُّنة أمور لا يعرفها إلا المُجتهد المُطلَق، لكن توجد أشياء كثيرةٌ يعرفها العوام، ويعرفها المتعلم الذي حاز علىٰ قدر يسير من العلم، مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦]، وقوله: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢].

ومثل: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا ٱلزِّنَىٰٓ﴾ [الإسراء: ٣٢].

ومثل: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ [المائدة: ٣].

ومثل: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ [النور: ٣٠].

هذه أمورٌ واضحةٌ يعرفها العامي إذا سمعها.

وَالْمُجْتَهِدُ هُوَ الْمَوْصُوفُ بِكَذَا وَكَذَا أَوْصَافًا لَعَلَّهَا لَا تُوجَدُ تَامَّةً فِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ.

يضعون شروطًا للمجتهد المطلق قد لا توجد تامةً فيمن هم من أفضل الناس مثل أبي بكر وعمرَ، وهذا الشروط وضعوها من عند أنفسهم.

يقول الله تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ﴾ [النساء: ٨٢]. هذا عامٌّ للمسلمين. كلٌّ يعرف من القرآن ما يسَّر الله له، فالعامي يَحصل علىٰ ما يستطيع، والمتعلم يَحصل علىٰ ما يستطيع، والراسخ في العلم يحصل علىٰ ما يستطيع. ﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد: ١٧]. كل وادٍ يأخذ من السيل قدره، كذلك العلم أنزله الله، وكل قلبٍ يأخذ منه بقدرٍ، قلب العامي وقلب المتعلم وقلب العالم وقلب الراسخ في العلم، كل واحد يأخذ بقدره، وبقدر ما أعطاه الله من الفهم، أما أنه لا يفهم شيئًا من القرآن إلا المُجتهد المْطلق، فهذا كلام غير صحيح.

ويقولون: محاولة فهم القرآن من التكليف بِمَا لا يستطاع، والشروط الَّتِي ذكرها العلماء وقالوا: لابدَّ أن تتوفر في المُفتي يريدون بِهَا: المُجتهد المطلق. ولا يريدون أنَّها لابد أن تتوفر في كل مَنْ يريد أن يتدبر القرآن ويستفيد منه، ثُمَّ هي شروط لاستنباط الأحكام الغامضة الخفية،

وليست شرطًا فِي فهم الأمور الواضحة مثل التوحيد والشرك والواجبات الظاهرة والمُحرمات الظاهرة.

* * *

فَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْإِنْسَانُ كَذَلِكَ فَلْيُعْرِضْ عَنْهُمَا فَرْضًا حَتْمًا لَا شَكَّ وَلَا إِشْكَالَ فِيهِ، وَمَنْ طَلَبَ الْهُدَىٰ مِنْهُمَا فَهُوَ: إِمَّا زِنْدِيقٌ، وَإِمَّا مَجْنُونٌ؛ لِأَجْلِ صُعُوبَةِ فَهْمِهِمَا، فَسُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ كَمْ بَيَّنَ اللهُ سُبْحَانَهُ شَرْعًا وقَدَرًا، خَلْقًا وَأَمْرًا فِي رَدِّ هَذِهِ الشُّبْهَةِ الْمَلْعُونَةِ مِنْ وُجُوهٍ شَتَّىٰ بَلَغَتْ إِلَىٰ حَدِّ الضَّرُورِيَّاتِ الْعَامَّةِ، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [الأعراف: ١٨٧]، ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾﴾ [يس: ٧ - ١١].

هذه الآيات فِي المعرضين عن تدبر كلام الله وكلام رسوله ﷺ، وفِي آخرها الذي منَّ الله عليه وهو ﴿مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ﴾ [يس: ١١] فهذا مَثَلٌ للفريقين.

* * *

آخِرُهُ، وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَـمِينَ، وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ سِيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَىٰ يوم الدِّينِ.

ختم الرسالة بمثل ما بدأها به بحمد الله والصلاة والسلام علىٰ رسوله، وهذا من محاسن التأليف والتعليم وذلك بالثناء علىٰ الله أولًا وآخرًا.

والصلاة والسلام علىٰ رسوله معلم الخير والداعي إِلَىٰ الله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه ومن اهتدىٰ بهديه وسار علىٰ نهجه وتَمسك بسُنته إِلَىٰ يوم الدين. والْحمد لله رب العالمين.

* * *

الأسئلة

* أثابكم الله فضيلة الشيخ، ما رأيكم فيمن يقول: إن المقصود بأُولي الأمر الذين ذُكروا فِي الآية هم العلماء وليسوا الأمراء؟

- هذا غلطٌ، لأن الآية شاملةٌ تشمل العلماء والأمراء، هذا هو الصحيح، أنَّها في الأمراء وفي العلماء، كلهم يقال لَهم: أولي الأمر.

* أحسن الله إليكم، هل الذين يذهبون للكُهَّان والعرَّافين يكفرون كفرًا أكبر، ويعاملون معاملة المُرتدين؟

- نَحن نقول ما قاله الرسول ﷺ: «من أتىٰ عرافًا أو كاهنًا فصدَّقه فيما يقول فقد كفر بِمَا أُنزل علىٰ مُحمد».

* أثابكم الله، سؤالٌ يقول: ما ردكم علىٰ هذا التعبير الذي يدرَّس فِي المدارس: «أن المادة لا تفنىٰ ولا تُستحدث من العدم، مع أن الله بديع السموات والأرض»؟

- هذا كلام أهل الطبيعة، الذين يقولون بالطبيعة ولا يقرُّون بالخالق، والحق أن كل شيءٍ يوجد من عدمٍ ويفنىٰ بعد وجوده إلا الله سبحانه وتعالىٰ، فإنه لا بداية له ولا نهاية: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾ [الرحمن: ٢٦- ٢٧].

* **فضيلة الشيخ، هناك بعض الإخوة ينتسبون إلىٰ جماعة التبليغ، ويدعوننا كثيرًا للخروج معهم، ويستدلون علىٰ كونهم علىٰ الحق بكثرة من يهتدون علىٰ أيديهم من الكفار وغيرهم في أنْحاء العالَم، فكيف نرد عليهم؟**

- نرد عليهم، بـأن نقول: من الذي اهتدىٰ علىٰ أيديهم في التوحيد؟ هل واحدٌ من الكفار أو من المبتدعة أو من القبوريين اهتدىٰ علىٰ يد جماعة التبليغ وترك الشرك، وتاب إلىٰ الله من الشرك، وعرف التوحيد أو لا؟ إنَّما هم يتوِّبون الناس من الذنوب، لكن الشرك لا يتعرضون له قطُّ ولا يُحذِّرون منه، ولذلك تكثر في بلادهم عبادة الأضرحة والقبور ولا يتعرضون لها، فما معنىٰ هذا؟! وأي دعوةٍ هذه؟! ثم إنهم يتوِّبون الناس من المعاصي ويُدخلونهم فِي البدع التي يسيرون عليها في منهجهم المعروف.

* **أثابكم الله، ما حكم صلاة التسبيح؟**

- لم تثبت عن النَّبي ﷺ، والنبي ﷺ يقول: «**مَنْ عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ**». وما دامت لَمْ تثبت، فلا يجوز العمل بِهَا، وأيضًا فيها غرابةٌ من ناحية صفتها، فالنبي ﷺ نهىٰ عن قراءة القرآن فِي الركوع والسجود، وهي فيها قراءة للقرآن فِي الركوع والسجود، وفيها صفاتٌ

مُخالفةٌ للصلوات المشروعة، ممَّا يدل علىٰ أنَّها ليس لَها أصلٌ.

فالذي يريد الْخير فهو موجود في الصلوات المشروعة، صلِّ يا أخي صلاة الضحىٰ، صلِّ صلاة الليل، والوتر، والرواتب مع الفرائض، الباب مفتوحٌ.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا مُحَمَّد وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم.

* * *



للصف والمراجعة والتحقيق

القاهرة – ت: ٤٤٦٤٠٧٦٦ – جوال: ٠١٠٧٢١٩٥٤٣

البريد الإلكتروني: EBADALRHMAN_SFEF@YAHOO.COM

فهرس الموضوعات